الوحى الإلهى

دراسة موضوعية فى ضوء القرآن والسنة

أ . د / محمود بسيونى فودة
رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن

من المباحث التي تعد من الأهمية بمكان مبحث الوحي ذلك لأن هذا المبحث يبنى عليه كل ما يتعلق بالدراسات القرآنية إذ أن الإيمان بالوحي هو الباب الذى يدخل منه الإنسان ليؤمن بكل ما أنزله الله تعالى على رسله فالإيمان بنزول القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم لا يتأتى إلا بعد الإيمان بالوحي وأساليبه والإتصالات الروحية بالملأ الأعلى واستعداد الإنسان لمعارفه عن الله تعالى بوساطة الملك على غير الطريقة المعتادة بين البشر (١) .

وقبل أن نخوض فى الحديث عن حالات الوحي ووقوعه بالدليل القاطع العقلى والنقلى نود أولاً أن نتحدث عن مدلول الوحي ومعناه من حيث اللغة والإصطلاح .

. . . فما هو الوحي ؟

جاء فى لسان العرب لإبن منظور تحت كلمة وحى . الوحى : الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفى وكل ما ألقيته إلى غيرك .. يقال : وحيت إليه الكلام وأوحيت ، ووحى وحياً وأوحى أيضاً أى كتب . وأوحى إليه : بعثه ، وأوحى إليه : ألهمه ، وفى التنزيل العزيز « وأوحى ربك إلى النحل » .. وفيه « بأن ربك أوحى لها » أى إليها فمعنى هذا أمرها .. وقال الفراء فى قوله « فأوحى إليهم » أى أشار إليهم قال والعرب تقول أوحى ووحى وأومى وومى بمعنى واحد .. وأوحى ما يوحيه الله إلى أنبيائه .. ويقول الأنبارى فى قولهم أنا مؤمن بوحى الله سمى وحياً لأن الملك أسره على الخلق وخص به النبى (٢) .

وقال الراغب أصل الوحى الإشارة السريعة ولتضمن السرعة قيل أمر وحى يعنى سريع وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب وبإشارة بعض الجوارح ومنه الإلهام الغريزى وإلهام الخواطر بما يلقيه الله فى روع الإنسان السليم الفطرة الطاهر الروح كالوحى إلى أم موسى .

يقول فضيلة الدكتور محمد أبو شهبة بعد أن ذكر بعض المعانى اللغوية لمعنى الوحى (فالخلاصة فى معنى الوحى اللغوى أنه الإعلام الخفى السريع وهو أعم من أن يكون بإشارة أو كتابة أو رسالة أو إلهام غريزى أو غير غريزى وهو بهذا المعنى لا يختص بالأنبياء

وأما فى الشرع ..

---

(١) إنظر مناهل العرفان ج ١/ ص ٥٦

(٢) إنظر لسان العرب ج ٦ / ص ٤٧٨٧

فيطلق ويراد به المعنى المصدرى ويعرف على هذا بأنه إعلام الله أنبياءه بما يريد أن يبلغه إليهم من شرع أو كتاب بواسطة أو بغير واسطة فهو أخص من المعنى اللغوى لخصوص مصدره ومورده فقد خص المصدر بالله سبحانه وخص المورد بالأنبياء . ويطلق ويراد به المعنى الحاصل بالمصدر وعلى هذا يعرف بأنه عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من عند الله سواء أكان الوحى بواسطة أم بغير واسطة ويطلق ويراد به الموحى به وعلى هذا يعرف بأنه مـا أنزله الله على أنبيائه وعرفهم به من أنباء الغيب والشرائع والحكم ومنهم من أعطاه كتاباً ومنهم من لم يعطه .. وهناك تعريف آخر .. « بأنه كـلام اللـه تعـالى المُنزَّل على نبى من أنبيـائه » وهو تعريف له بمعنى اسم المفعول أى الموحى .. وللإمـام الشيخ محمد عبده تعريف ذكره فى رسالة التوحيد وهو « عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله تعالى بواسطة أو بغير واسطة والأول بصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوت » . ويفرق بينه وبين الإلهام بأن الإلهام وجدان تستيقنه النفس فتنساق إلى ما يطلب على غير شعور منها من أين أتى وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور . (١)

أقسام الوحى وكيفيـــاته :

حديثنا عن أقسام الوحى وكيفياته تقتضينا أن نبين بأن معرفة أقسام الوحى وكيفياته لا يتأتى إلا عن طريق النقل الصحيح من الكتاب والسنةوما يستنبط منها وأيضاً عن طريق الصحابة الذين شاهدوا قرائن الوحى وكيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقى الوحى وبالرجوع إلى القرآن نفسه وإلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما روى عنه عن الصحـابة الأجلاء نستطيع أن نقول أن الوحى ينقسم باعتبار معناه المصدرى إلى ما يأتى :

(١) تكليم الله أنبيـاءه

بما يريد من وراء حجاب .. وقد حدث هذا يقظةً لا مناماً مع نبى الله موسى عليه السلام وفى هذا يقول الله عز وجل « وكلم الله موسى تكليماً » (٢)

وقال عز وجل « ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه » (٣)

وثبت فى الصحيح أن الله عز وجل كلم خاتم المرسلين محمداً صلى الله عليه وسلم

(١) انظر المدخل لدراسة القرآن د/ محمد أبو شهبة ص ٨٤ والوحى المحمدى للشيخ محمد رشيد رضا ص ٤٤

(٢) النساء ١٦٤ . (٣) الأعراف ١٤٣ .

ليلة الإسراء والمعراج . ولقد تحدث علماء الكلام فى كيفية هذا الكلام ونختار قول أهل السنة فلهم قولان فى الكلام المسموع فقيل هو الكلام النفسى القديم المجرد عن الحروف والأصوات ولا استحالة فيه حيث إن النبى الذى إختصه الله برحمته قد منحه مزايا وخصائص لا تعرف للإنسان العادى فنفسه بأصل فطرتها مهيئة لأن تسمع الكلام النفسي بطريقة لا تعلمها لأنها من آيات الله عز وجل المرتبطة بخوارق النواميس المعروفة لنا .

(٢) الرؤيا فى النـــــوم :

وهذا نوع من أنواع الوحى لأن هناك فرقاً بين ما يراه الإنسان العادى فى نومه وما يراه النبى فالإنسان العادى قد يرى حلماً يأتيه عن طريق الشيطان أو عن طريق هواجس نفسه وقد يرى رؤيا وهى من الملك كما أخبر النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال :« الحلم من الشيطان والرؤيا من الملك » .. أما النبى فلا سلطان للشيطان عليه ونفسه راضية مرضية لا تأمره إلا بخير فهو بفطرته لا يأتيه إلا الخير من الله تعالى ، ولهذا كانت الرؤيا وحياً من الله عز وجل ولا مراء فى ذلك فنصوص القرآن والسنة الصحيحة تثبت أن الرؤيا وحى حقيقى من الله تعالى دون لبس أو غموض ولا أدل على ذلك مما رواه الإمام البخارى عن عائشة أم المؤمنين قالت : أول ما بُدء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصادقة فى النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح وصرح القرآن فى أكثر من موضع بما يفيد أن الرؤيا حق ووحي من الله تعالى لنبيه فلقد أوحى الله عز وجل لنبيه وخليله إبراهيم عليه السلام أن يذبح ولده إسماعيل وكان هذا فى رؤيا واستقبل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ذلك على أنه وحى وإمتثلا لأمر الله عز وجل . وفي هذا يقول الله سبحانه : (فلما بلغ معه السعى قال يا بنى إنى أرى في المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى ، قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين) (١)

وحدثنا القرآن الكريم عن رؤيا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى منامه أنه وأصحابه سيدخلون المسجد الحرام إن شاء الله آمنين . وفي هذا يقول الله سبحانه وتعالى : (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين)(٢).

---

(١) الصافات الآية ١٠٢ .   (٢) الفتح الآية ٢٧ .

(٣) القذف فى القلب :

وقد يأتى هذا إما عن طريق ملك يأمره الله تعالى أن يقذف فى قلب نبيه شئ من الوحى أو يلهم الله نبيه بما يريد أن يوحيه إليه مع اليقين لدى النبى بأن هذا وحى ومن ذلك ما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم « إن روح القدس نفث فى روعى »(١)

إن نفساً لم تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب .

(٣) الرُوع : بضم الراء القلب والخاطر .

(٤) تعليم الله أنبياءه بوساطة ملك :

وهذا هو أهم أنواع الوحى أن الله سبحانه وتعالى إختص بذلك من ملائكته أمين الوحى جبريل عليه السلام وهذا القسم الرابع يسمى الوحى الجلى .

هذا وبالرجوع إلى القرآن الكريم نجد أن الله سبحانه وتعالى بين هذه الأقسام فى آية من كتابه حيث قال سبحانه (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً) أى إلا أن يوحى إليه وحياً بأن يقذف فى روع النبى شيئاً لا يتمارى فيه أنه من الله عز وجل وقد ذكرنا مثال ذلك (أو من وراء حجاب) أي أو إلا من طريق لا يرى السامع المتكلم جهرة مع سماعه للكلام كما كلم موسى عليه السلام ربه (أو يرسل رسولاً فيوحى بإذنه ما يشاء) أى أو يرسل الله من ملائكته رسولاً إما جبريل أوغيره فيوحى ذلك الرسول إلى المرسل إليه ما يشاء ربه أن يوحيه إليه من أمر ونهى كما كان جبريل عليه السلام يتنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى غيره من الأنبياء (إنه على حكيم) (٢)

تلقى جبريل للوحى وتلقى النبى للوحى من جبريل .. كيف كان ذلك ؟

الحديث عن تلقى جبريل للوحى أمر من عند الله من أنباء الغيب لا يخضع لإجتهاد مجتهد ولا مجال للرأى فيه ، اللهم إلا بقدر ما يستنبط المسلم من نص أو يرجح رأياً على أساس من سند نقلى وبالنظر فى كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم نجد أن الله تعالى لم يطلعنا على هذا الأمر بصورة صريحة ولعل هذا يعود إلى رحمة الله بنا فمن فضل الله ورحمته أن الله تعالى لم يكلفنا إلا بما نطيق ولم يخاطبنا إلا بمقدار إدراكنا كبشر ولا ريب أن من الغيب ما لا نطيق إدراكه فأخفاه الله عنا رحمة بنا غير نسيان وما كان ربك لينسى - تعالى ربنا عن

---

(١) الرُوع : بضم الراء القلب والخاطر .

(٢) الآية ٥١ الشورى . وانظر تفسير المراغى ص ٦٤ .

ذلك - ومع هذا فهناك أقوال ذكرها العلماء هي في جوهرها لا تعارض نصاً صحيحاً ، وهي في جوهرها مقبولة مع تفويض الأمر في النهاية لله سبحانه وتعالى ومن ذلك ما ذكره البيهقي في تفسير قول الله تعالى (إنا أنزلناه في ليلة القدر) قال : يريد والله أعلم إنا أسمعنا الملك وأفهمناه إياه وأنزلناه بما سمع .

كما روى الطبراني من حديث النواس بن سمعان مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا تكلم الله بالوحي أخذت السماء رجفة شديدة من خوف الله فإذا أسمع بذلك أهل السماء صعقوا وخروا سجداً فيكون أولهم يرفع رأسه جبريل فكلمه الله بوحيه بما أراد فينتهي به إلى الملائكة فكلما مر بسماء سأله أهلها ماذا قال ربنا ؟ قال الحق فينهي به حيث أمر .

وقال الطيبي : لعل نزول القرآن على الملك أن يتلقفه تلقفاً روحانياً أو يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به على النبي صلى الله عليه وسلم .

وهذا الرأي الذي قاله الطيبي له شواهد في القرآن الكريم فالله سبحانه وتعالى يقول : (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ) (١)

ويقول عز وجل : (حم . والكتاب المبين . إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون . وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم) (٢)

ومن المعلوم أن المراد بأم الكتاب هو اللوح المحفوظ الذي فيه العلم المطلق لله عز وجل وما علينا تجاه تلقي جبريل للوحي إلا أن نؤمن بما نطق به القرآن أو جاءت به السنة الصحيحة دون زيادة لأن هذا غيب لا نعرفه إلا عن طريق المعصوم الذي أوحى الله إليه .

وننتقل بعد هذا إلى الشق الثاني وهو كيف كان يتلقى النبي الوحي عن جبريل أمين الوحي وبالرجوع إلى السنة الصحيحة وجدنا جواباً شافياً ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتلقى الوحي عن جبريل على حالتين :

(١) الحالة الأولى :

أن يتحول جبريل عليه السلام من الملكية إلى الصورة البشرية فيأتي في صورة رجل ويراه الناس رأي العين وغالباً كان يأتي في صورة دحية الكلبي أو صورة اعرابي لا يعرف ومما يدل على ذلك ما رواه الإمامان البخاري ومسلم وغيرهما « بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ طلع علينا رجل ولا يعرفه منا

---

(١) البروج الآيتان ٢١ - ٢٢ . (٢) الزخرف الآيات ١ - ٤ .

أحد .. وفى آخر الحديث قال النبى صلى الله عليه وسلم لأصحابه ردوا على الرجل فذهبوا فلم يجدوه فقال : هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم » .. وهذه الحالة أهون الحالتين على الرسول .

(٢) الحالة الثانية :

أن ينسلخ النبى صلى الله عليه وسلم من حالته البشرية العادية إلى حالة أخرى وبها يصير مستعداً ومؤهلاً لتلقى جبريل والوحى منه وجبريل على حالته الملكية وعندما يكون كذلك يظهر أثر التغير والإنفعال على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيغط غطيط النائم ويغيب غيبة كأنها غَشْيَة وما هى فى شئ من ذلك إن هى كما يقول فضيلة الشيخ عبدالعظيم الزرقانى : إلا إستغراق فى لقاء الملك الروحانى وإنخلاع عن حالته البشرية العادية فيؤثر ذلك على الجسم فيغط ويثقل ثقلاً شديداً قد يتصبب منه الجبين عرقاً فى اليوم الشديد البرد .. وقد يكون وقع الوحى على الرسول كوقع الجرس إذا صلْصَلَ فى أذن سامعه وذلك أشد أنواعه وربما سمع الحاضرون صوتاً عند وجه الرسول كأنه دوى النحل لكنهم لا يفهمون كلاماً ولا يفقهون حديثاً . أما هو صلوات الله وسلامه عليه فإنه يسمع ويعى ما يوحى إليه ، ويعلم علماً ضرورياً أن هذا هو وحى الله دون لبس ولا خفاء فإذا تجلى عنه الوحى وجد ما أوحى إليه حاضراً فى ذاكرته ، منتعشاً فى حافظته كأنما كتب فى قلبه كتابه [١]

وهذا الكلام الذى قاله العلماء لم يكن عن إعمال عقل دون سند نقل فهذا الأمر كما قلنا مصدره النقل الصحيح عن المعصوم صلى الله عليه وسلم .. فقد روت السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها كما جاء فى صحيح البخارى أن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله : كيف يأتيك الوحى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحياناً يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفصم عنى [٢]

وقد وعيت منه ما قال وأحياناً يتمثل لى الملك رجلاً فيكلمنى فأعى ما يقول .. وتقول عائشة رضى الله تعالى عنها : ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد وإن جبينه ليتفصد عرقاً .

كيف تلقى النبى القرآن :

من الأمور المسلمة والتى ينبغى على المسلم أن يأخذها بيقين أن القرآن كله نزل عن

(١) انظر مناهل العرفان ج ١ / ص ٥٧ . (٢) الفصم : القطع من غير إبانة .

طريق جبريل ولم يأت شئ منه فى الرؤيا أو عن طريق الإلهام أو عن تكليم بل إنه كله جاء بوحي نزل به جبريل فى اليقظة وحياً جلياً ، وهذا ما جاء صريحاً فى كتاب الله تعالى . فالله عز وجل يقول (وإنه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين على قلبك . لتكون من المنذرين . بلسان عربى مبين) (١)

فهذا النص الإلهى يصد أى لبس أو غموض ولا يفتح باباً لمرتاب ففيه أن القرآن كله نزل به جبريل عليه السلام أمين الوحى على قلب النبى صلى الله عليه وسلم وأيضاً مما يؤكد هذا ما رواه البخارى عن ابن عباس فى قوله تعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل به) (٢)

قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة ، وكان مما يحرك شفتيه ، ومن المعلوم أن هذه الشدة كانت عند لقاء الرسول بجبريل بعد أن ينسلخ الرسول من بشريته حتى يكون مستعداً لتلقى الوحى . ويجرنا هذا إلى أمر قال به أهل العلم على سبيل القطع وهو أن القرآن الكريم كله نزل وجبريل على ملكيته .

وهذا أمر لا ريب فيه فلو أن جبريل نزل بالقرآن وقد تحول إلى الصورة البشرية لحاول المشركون أن يشككوا فى القرآن بدعوى أن الذى يكلمه بشر ..

يقول فضيلة الشيخ الدكتور محمد أبو شهبة رحمه الله : فلو أنزل شئ من القرآن فى الحالة وهو مجئ جبريل فى صورة رجل ، لكان هذا مثاراً للشك والتلبيس على ضعفاء الإيمان ولكان فيه مستند للمشركين فى قولهم (إنما يعلمه بشر) وقد أشار الله تبارك وتعالى فى هذا فى قوله حكاية لمقالة المشركين ورداً عليهم ..

(وقالوا لولا أنزل عليه ملك ، ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر ثم لا ينظرون . ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون) (٣)

فكان من الرحمة بالعباد وعدم التلبيس عليهم ألا ينزل القرآن إلا فى هذا الجو الملائكى الروحانى .

الوحى حق مهما إرتاب المبطلون :

حاول هؤلاء الذين فى قلوبهم مرض أن يشككوا فى إمكانية الوحى ، وأن يثيروا حوله الشبه بدعوى أنه أمر يستحيل حدوثه ووسوس إليهم الشيطان فإذا بهم

---

(١) الشعراء الآيات ١٩٢ - ١٩٥ .

(٢) القيامة الآية ١٦ .

(٣) الأنعام ٨ - ٩ .

يزعمون أن الوحي يتعارض مع ما وصل إليه العلم ، وخابوا وخسروا بعد أن أثبت العلم المادى أموراً تقرب إلى الذهن أن الوحي حقيقة مهما إرتاب المبطلون وقبل أن نفصل هذه المسألة التي تثبت أن العلم المادى الحديث جعل العقل البشرى يستقبل أمر الوحي دون دهشة أو إستغراب قبل هذا .. نحب أن نبين أن مبنى الوحى ومداوره تقوم على ثلاثة أمور :

(١) وجود « موح » : وهو الله سبحانه وتعالى .

(٢) وجود رسول من الملائكة : يحمل وحى الله إلى رسله من البشر .

(٣) وجود نفس اصطفاها الله عز وجل : وإجتباها وإختصها برحمته وجعلها مستعدة لإستقبال وحى الله عز وجل ليصل بعد ذلك إلى الناس دون لبس أو زيادة أو نقص .

وكل ذلك موجود وواقع لا ينكره إلا مكابر ختم الله عز وجل على قلبه وجعل على بصره غشاوة فضل وأضل وبالنظر في كتاب الله تعالى نجد آية من آيات القرآن العزيز جمعت ذلك كله فيقول سبحانه (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون) ..

ونعود إلى موضوع العلم الذى حاول من خلاله الملاحدة أن يشككوا فى حقيقة الوحى نقول لهؤلاء الذين أنكروا الوحى ، إن العلم نفسه يثبت حقيقة الوحى وإن كان الوحى من أنباء الغيب لا يتحقق إلا بإرادة الله وأمره ولا يطيقه إلا من عصمه الله عز وجل وإختصه برحمته ولا يكون إلا ومع هذا فإن العلم فى عصرنا الحاضر صدم هؤلاء صدمة عنيفة هذه الصدمة كما يقول فضيلة الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى رحمه الله غيرت رأيتهم في إنكار ما وراء المادة حيث إن العلم المادى أتى بأدلة لا مراء فيها تثبت قلوب الذين آمنوا ويشفى الله بها صدور قوم مؤمنين وإذا قلنا أنها أدلة على ثبوت الوحي فلا بد أن نبين بأن الوحى شئ آخر ، ذلك أن الوحى كما قلناهو من صنع الله القادر على كل شئ ، أما ما إستحدثه العلم المادى فهو يأتي عن طريق المخترعات البشرية وأعمال العقل .

ومن ذلك ما أثبته العلم المعاصر مما يسمى علم التنويم الصناعى أو التنويم المغناطيسى ، فقد أثبت هذا العلم وجود قوة خفية وراء هذا الهيكل الإنسانى ، وهى الروح ، وبهذه القوة الخفية يتسلط المنوِم بكسر الواو على المنوَم بفتح الواو ، ويلقى الأول إلى الثانى ما يشاء ويستجيب الثانى إلى ما يريد الأول ، وقد أجريت فى هذا تجارب عدة حتى أصبح أمراً مسلماً به ، فإذا كان هذا الذى يحدث يتم بين

مـخلوق ومـخلوق فـلا عـجب إذن أن يتم الوحي بين الله وهو الخـالق و بين من إختصهم من البشر ، وهم الملائكة .
ويحكي لنا فضيلة الشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني تجربة حضرها ورآها بنفسه قامت بنادي جمعية الشبان المسلمين على مرأى ومسمع من جمهور مثقف كبير .. يقول : قام المحاضر – وهو إستاذ في التنويم المغناطيسي – وأحضر الوسيط وهو فتى فيه إستعداد خاص للتأثر بالأستاذ ، والأستاذ فيه إستعداد خاص للتأثير على الوسيط . فالأول ضعيف النفس والثاني قويها .. وللضعف والقوة وجوه ليس هذا موضع بيانها .. نظر الأستاذ إلى عين الوسيط نظرات عميقة نافذة ، وأجرى عليه حركات ، يسمونها سحبات ، فما هي إلا لحظة حتى رأينا الوسيط يغط غطيط النائم . وقد إمتقع لونه وهمد جسمه ، وفقد إحساسه المعتاد حتى لقد كان أحدنا يَخزُه بالإبرة وخزات عدة ، فلا يبدي الوسيط حراكاً ، ولا يظهر أي عرض لشعوره وإحساسه بها . وحينئذ تأكدنا أنه قد نام ذلك النوم الصناعي أو المغناطيسي . وهنالك تسلط الإستاذ على الوسيط يسأله ما إسمك ؟ فأجابه بإسمه الحقيقي ، فقال الإستاذ : ليس هذا هو إسمك إنما إسمك كذا ، وإفترى عليه إسماً آخر . ثم أخذ يقرر في نفس الوسيط هذا الإسم الجديد الكاذب ، ويمحو منه أثر الإسم القديم السابق بوساطة أغاليط يلقنها إياه في صورة الأدلة وبكلام يوجهه إليه في صيغة الأمر والنهي ، وهكذا أملى عليه هذه الأكذوبة املاء وفرضها عليه فرضاً حتى خضع لها الوسيط وأذعن . ثم أخذ الإستاذ وأخذنا نناديه بإسمه الحقيقي المرة بعد الأخرى في فترات متقطعة ، وفي أثناء الحديث على حين غفلة ، كل ذلك وهو لا يجيب ، ثم نناديه كذلك بإسمه المصنوع فيجيب دون تردد ولا تلعثم . ثم أمر الإستاذ وسيطه أن يتذكر دائماً أن هذا الإسم الجديد هو إسمه الصحيح حتى إلى ما بعد نصف ساعة من صحوه ويقظته . ثم أيقظه وأخذ يتم محاضرته . ونحن نفاجأ الوسيط بالإسم الحقيقي فلا يجيب ، ثم نفجؤه بإسمه الثاني فيجيب حتى إذا مضى نصف الساعة المضروب ، عاد الوسيط إلى حالة من العلم بإسمه الحقيقي . وبهذه التجربة أثبت الإستاذ أن المنوِم بكسر الواو يستطيع أن يمحو من نفس وسيطه كل أثر يريد محوه مهما كان ثابتاً في النفس . (١)
بجانب هذا فإن ما إستحدثه العلم من وسائل الإتصال ، وبها يسمع الناس الأحاديث المسجلة التي تحملها اليوم موجات الأثير عابرة الوهاد والسهول والبحار

(١) مناهل العرفان ج ١ / ص ٦٠ – ٦١ .

وصارمن الميسور أن يخاطب إنسان إنساناً فى الهاتف ، إحدهما فى أقصى المشرق والآخر فى أقصى المغرب ، وقد يتراءيان . وما يحدث الآن فى أى مكان على الأرض ينتقل إلى الناس جميعاً عبر ما إستحدثه الناس من الأقمار الصناعية وكل هذا يتم بتجارب علمية عن طريق أعمال العقل ، فكيف نستكثر الوحى الذى يأتى عن طريق القادر المقتدر الذى يقول للشئ كن فيكون .. وصدق الله العظيم إذ يقول : (سنريهم أياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد . ألا إنهم فى مرية من لقاء ربهم ألا إنه بكل شئ محيط) [١] .

(١) فصلت الأيتان ٥٢ - ٥٤ .

ردود على بعض ما أثير من شبه
على الوحى المحمدى

لقد حاول الماديون من الملاحدة والذين أعمى الله بصائرهم أن يشككوا فى إمكانية الوحى وهم بهذا يريدون أن يركزوا على التشويش على الباب الذى لابد منه والدخول عن طريقه حتى يكون الإنسان مسلماً ، إذ أن الإيمان لا يتأتى أبداً إلا بعد التصديق بالوحى ، ولهذا ركز المشركون فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وركزوا أيضاً على مدار العصور على إبطال إمكانية الوحى ، وقالوا ما أنزل الله على بشر من شئ ، لقد نفوا أن يكون وحياً أتى للنبى صلى الله عليه وسلم من الخارج ، فنفوا أن يكون وحياً من خارج نفس النبى ، وقالوا إنه وحى من داخل نفسه ، وقالوا نحن لا نشك فى صدق محمد فى خبره عما رأى وسمع ، وإنما نقول إن منبع ذلك من نفسه ، وزعموا أن منازع نفسه العالية وسريرته الطاهرة وقوة إيمانه بالله ، جعله يتصور ما يعتقد وجوبه إرشاداً إلهياً نازلاً عليه من السماء ، وقالوا بأن كل ما قال أنه جاء بوحى إنما هو نابع من نفسه ، ومن عقله الباطن ، ومما يؤسف له حقاً أن بعض أدعياء الإسلام ساروا وراء هذه الشكوك عن سذاجة أو جهل ، وبعضهم من هؤلاء الذين تلقوا العلم فى الغرب ، ولقد بنوا على ما زعموا مقدمات تخيلوها ، وإفتروا على الله الكذب ، وبدأوا يبحثون عن أموراً قالوا أنها أساس هذه التشريعات وأساس ما أخبر به القرآن الكريم من قصص الأمم الغابرة .. فمثلاً زعموا بأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يصحب عمه أبا طالب فى رحلاته التجارية فسمع وهو على سفر من بعض الأعراب الذين كانوا يسكنون الديار التى يمر عليها ، كديار ثمود ومدين ، وزعموا أيضاً بأنه سمع بعض الأخبار من بعض أحبار اليهود ورهبان النصارى ، مثل بحيرى الراهب ، وقالوا أيضاً بأن ورقة بن نوفل الذى قد تنصر فى العصر الجاهلى ، والذى كان على علم بالكتب السابقة كان قريباً لخديجة رضى الله عنها ، وزعموا أيضاً بأنه كان بمكة أناس من اليهود والنصارى يسكنون أطرافها ، وأضافوا إلى هذه الأباطيل والترهات ما زعموه أن الرسول صلى الله عليه وسلم توصل إلى ما توصل إليه بالخلوة فى غار حراء ، والإنقطاع إلى عبادة الله وحده ، وكان لهذا التعبد والتفكر أثرهما فى صقل نفس محمد ، وإمتلاء قلبه بوحدانية الله وبنوا على هـــذا أن المعلومـات التى جاء بها فى هذا الوحى مستمدة من تلك

الينابيع [١] .

هذه هى أهم ما أورده هؤلاء الملاحدة من شبه أتينا بها إجمالاً ولم نذكرها بالتفصيل لأنها أهون من أن تذكر (وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) [٢] .

ونرد على هذه الشبهات وقد سبقنا إلى هذا علماؤنا الراسخون فى العلم ، فنقول بتوفيق الله : إن الثابت أن النبى صلى الله عليه وسلم قد صحب عمه أبا طالب فى التجارة ، ولكنها كانت مرة واحدة وهو إبن تسع سنين ، وعندمـــا رآه الراهب « بحيرى » وجد فيه علامات النبوة لما كان يعلمه من قرب ظهور نبى ينقذ البشرية ويخرجها من الظلمات إلى النور ، وقد ذكر لعمه أنه سيكون له شأن ، وحذره أن تناله اليهود بشر ، ولم يثبت قط أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ من بحيرى علماً ، وعندما وصل إلى مرحلة الشباب وخرج فى تجارة للسيدة خديجة لم يعرف أنه جاوز مدينة بصرى ، وكان قصده من هذا السفر التجارة ، فلم يتصل بأحبار اليهود ورهبانه النصارى ، وأما ما تقوله المتقولون من أن النبى صلى الله عليه وسلم مر على ديار مدين وسمع من أهلها أخبار الأمم الغابرة . فهذا غير صحيح ، وأين مدين من طريق تجارتهم إلى الشام ، وأما ما تقولوه عن ورقة بن نوفل ، وأنه كان قريب خديجة فالثابت أن ورقة بن نوفل عندما سمع الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يتحدث عن أول لقاء بينه وبين جبريل ، ونزول صدر سورة العلق قال ورقة هذا هو الناموس الذى كان ينزل على موسى وبعد ذلك توفى ورقة وفتر الوحى .

أما عن إنتشار اليهودية والنصرانية فى بلاد العرب وتأثر النبى صلى الله عليه وسلم بهؤلاء الذين تهودوا أو تنصروا من العرب ، فالحق أن اليهودية والنصرانية لم تكن منتشرة فى بلاد الحجاز ، وعندما بعث الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بمكة لم يكن بها يهود ولا نصارى ولقد كان اليهود بجوار المدينة المنورة ومع هذا فلم يكن لهم أثر يذكر فى جيرانهم أما ما زعموه من أن الرسول صلى الله عليه وسلم من أنه تأثر بالخلوة والتعبد فى حراء حتى تراءى له أنه يوحى إليه وأن الملك يلقنه فهى دعاوى باطلة فرسول الله صلى الله عليه وسلم عندما كان يتعبد بغار حراء ما دار بخلده أنه نبى هذه الأمة ، بل أنه كان يذهب إلى غار حراء حتى يكون بعيداً عن

---

(١) انظر المدخل لدراسة القرآن الكريم . د/ محمد أبو شهبة ص ٩٠ – ٩٢ مع الإيجاز والتصرف .

(٢) العنكبوت الآية ٤١ .

الرجس والمذمومات والأخلاق الفاسدة التي كانت سائدة في مكة وما جاورها أيام الجاهلية ، وفي هذا يقول الله سبحانه وتعالى (وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك) [1] . والحق أن كل نفس تبحث عن الحق بإنصاف وبدون زيغ في القلب ، فإنها عندما تعيش مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع مراحل عمـــره فلا بد أن تؤمـن بأنه الصادق الأمين النبي الأمي الذي أرسله الله تعالي وبرسالته أكمل الله دينه وأتم نعمته ورضي الإسلام ديناً وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم .

أ . د / محمودبسيوني فودة
رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن بالكلية

(١) القصص الآية ٨٦ .